الأصالة والإبداع الجغرافي الإقليمي في حضارة وادي الرافدين (دراسة في الفكر الجغرافي)

أ.م.د. رائد راكان قاسم الجواري *

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/٣/٤ تأريخ القبول: ٢٠١٨/٤/١٠

المقدمة :

تعد منطقة وادي الرافدين المنطقة الحضارية الغارقة في القدم والتي سماها اليونان مسوبوتاميا (مابين النهرين) ، وجيولوجيا هي ارض منخفضة تكونت من الترسبات التي خلفها النهران الفرات ودجلة ، وهي تعادل بمساحتها تقريبا عراق اليوم . استقر هنا منذ حقب ما قبل التاريخ السومريون وأطلقوا عليها اسم أنكي والأراضي التي سكنوها وصفوها بتسمياتهم (ككنكير)او(شومر) ، ولم يتسن حتى ألان إدراج لغتهم ضمن أي من مجاميع اللغات المعروفة.

وحين زحف السومريون منتصف الألف الرابع ق. م نحو الأجزاء الشمالية من بابل وجدوا فيها سكانا ساميين مستقرين ، قد تغلغلوا إلى مسوبوتاميا من الغرب من السهوب السورية وذلك منذ عهود ما قبل التاريخ ، كما تؤكد ذلك الأسماء السامية لملوك مدينة بابل الشمالية ، وقد قطن الى جانب هذه القبائل السامية في بابل قبل مجيء السومرين كذلك سكان آخرون ، يمكننا الحكم على وجودهم من بعض أسماء مدن غير السومرية وبعض المفردات في حقل الزراعة والبستنة [١].

ومع ظهور الزراعة في الحضارة السومرية ظهرت الاسس الاولى لبروز اقدم الحضارات في التاريخ ، اذ تمثل حضارة وادي الرافدين ووادي النيل المنبع الذي انطلقت منه الأفكار الجغرافية الأولى وذلك تبعا لقدم ظهورهما إذ تعدان من أقدم الحضارات في

* قسم الفلسفة/ كلية الآداب/ جامعة الموصل .

(١) الأساطير في حضارة وادي الرافدين ، ترجمة عن الرقم الطينية بوهوسلاف هروشكا، جيري بروستكي ، لوبور ماتو، ترجمة إلى العربية عصام عبد اللطيف احمد ، منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ص ٦-٧.

العالم ، فقد نشأتا معاصرتين تقريباً وبدأت أسس الحضارة فيهما تتكامل قبل أواخر الألف الرابع ق.م أي حوالي ٣٢٠٠ ق.م [١] .

وخلال ظهور حضارة وادي الرافدين وضع سكانها العديد من المفاهيم الجغرافية منها ما هو في مجال الجغرافية الاقليمية ، وتعد هذه المفاهيم من اقدم الافكار الجغرافية التي ظهرت في التاريخ القديم ، ومنها انتقلت الى باقي الحضارات القديمة ومن ثم الى الحضارات التي سادت خلال العصور الوسطى متمثلا بالدرجة الاساسية بالحضارة العربية الاسلامية ، واخيرا انتقلت الى علومنا الحديثة خلال النهضة العلمية الحديثة ، وهذا ما سيتم الكشف عنه في ضوء جوانب هذه الدراسة.

أولا: هدف البحث :

يهدف البحث الى الكشف عن أصالة وابداع سكان العراق القديم في الجغرافية الاقليمية من خلال إسهامهم في وضع اقدم واصح المفاهيم الجغرافية الاقليمية التي تعد نقطة انطلاق وتطور الافكار الجغرافية الاقليمية خلال العصور القديمة والوسطى والحديثة.

ثانيا: مشكلة البحث:

على الرغم من ان حضارة وادي الرافدين تعد من اقدم الحضارات التي ظهرت في التاريخ الا انه مازال هناك اعتقاد لدى الباحثين (كأمثال الجغرافي الفرنسي رينيه كلوزييه): ان الحضارة اليونانية هي من حاولت اغناء معارفنا الجغرافية وان الحضارات الاخرى لم تقدم أكثر من معلومات عن المناطق المجاورة لبلادها [٢]، ولكي نثبت خطاء هذا الراي جاءت مشكلة البحث في البحث عن الافكار الجغرافية الاقليمية التي سادت لدى سكان العراق القديم وتأكيد ان هذه الافكار تمثل الاسس الاولى لتبلور مفهوم الجغرافية الاقليمية الذي ساد فيما بعد في الحضارة اليونانية وفي الفكر الجغرافي خلال العصور الوسطى والحديثة.

---

(١) رائد راكان قاسم الجواري ، مقدمة في علم الخرائط ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ٢٠١٥ ، ص٢٠.

(٢) رينيه كلوزييه ، تطور الفكر الجغرافي ، (تعريب عبد الرحمن حميدة) ، ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٤ ، ص١٥.

ثالثا: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في توثيق وتحقيق الأصالة والابداع لدى حضارة وادي الرافدين وابراز دورها الريادي في وضع الاسس الاولى لظهور وتطور الجغرافية الاقليمية.

رابعا: منهج البحث

استعمل البحث المنهج الاستقرائي بالاعتماد على المصادر المكتبية التي شملت كتب الجغرافية والآثار والتاريخ والفلسفة التي لها علاقة بالموضوع.

خامسا: فرضيات البحث

تنطلق فرضيات البحث من خلال النقاط التالية:

١. ان سكان العراق القديم هم اول من وضع أسس الجغرافية الاقليمية الحديثة.
٢. ان حضارة وادي الرافدين كان لها دور كبير في نشوء وتطور الجغرافية الاقليمية خلال العصور القديمة والوسطى والحديثة.
٣. ان اقدم تقسيم للأقاليم المبني على تقسيم العالم الى سبعة مناطق كان انطلاقته من حضارة وادي الرافدين.
٤. ان تقسيم العالم الى اقاليم طبيعية وبشرية السائد حديثا هو من ابتكار سكان العراق.

سادسا: هيكلية البحث

تضمنت هيكلية البحث اربعة مباحث عالج المبحث الأول : **مفهوم الاقليم واثر حضارة وادي الرافدين على ظهوره** ، وشمل المبحث الثاني : **تأثير حضارة وادي الرافدين على ظهور فكرة الاقليم خلال العصور القديمة** ، بينما تضمن المبحث الثالث : **الحضارة العربية الاسلامية تضع افكارها الجغرافية الاقليمية في ضوء التقسيم الاقليمي في حضارة وادي الرافدين** ، واخيرا شمل المبحث الرابع: **العلوم الحديثة تقتبس اولى افكارها الجغرافية الاقليمية من حضارة وادي الرافدين.**

سابعًا: نتائج الدراسة ومناقشتها

أهم ما توصلت إليه الدراسة هو ان حضارة وادي الرافدين لم يقتصر عطاءها الفكري في الجغرافية الاقتصادية على وصف المناطق المحيطة بها كما يعتقد الباحثون حديثا بل

تعد ذلك من خلال أساهمها الكبير في وضع الاسس الاولى لظهور وتطور الجغرافية الاقليمية ، فقد ادركت هذه الحضارة مفهوم الاقليم الذي ساد حديثا من خلال تقسيمهم الاراضي الى اقاليم طبيعية وبشرية.

ففي الجانب الطبيعي اعتمدا سكان هذه الحضارة على المناخ في تقسيم سطح الارض الى قسمين : قسم مشمس وقسم لا يرى الشمس ، وهذه الفكرة هي ما تبناه سكان الحضارة اليونانية فيما بعد من خلال اعتمادهم على المناخ في وضع تقاسيمهم المناخية ، كما ان المفاهيم الاقليمية التي ظهرت لدى الحضارة العراقية القديمة من خلال تقسيم العالم الى سبعة اقاليم هي أيضا ما تبناه سكان الحضارة العربية الاسلامية خلال العصور الوسطى ، اما تقسيمهم الى اقاليم طبيعية وبشرية فهي الفكرة التي سادت في الفكر الجغرافي الحديث ، وكل ما ذكرناه يؤكد اصالة وابداع حضارة وادي الرافدين في الجغرافية الاقليمية من خلال اقتباس العصور القديمة والوسطى والحديثة للمفاهيم الجغرافية الاقليمية التي سادت لدى هذه الحضارة.

ثامنًا: التوصيات والدراسات المستقبلية

بالرغم من ان الدراسة كشفت عن اصالة وابداع حضارة وادي الرافدين في الجغرافية الاقليمية الا انه ما زالت هذه الحضارة تتطلب المزيد من الدراسات التي تكشف عن دورها الريادي في وضع اقدم الافكار العلمية ، ولهذا نرى ان تجري دراسات في العلوم المختلفة تعمل على تتبع تطور العلوم الحديثة في الحضارات القديمة وتوثيق وتحقيق بداياتها في حضارة وادي الرافدين.

المبحث الأول: مفهوم الاقليم واثر حضارة وادي الرافدين على ظهوره

يعرف الإقليم بأنه تلك المنطقة التي تتميز بصفة معينة تجمعها مع مناطق أخرى وان كانت بعيدة عنها[١] ، اما كلمة اقليم فهي محرفة عن الكلمة اليونانية (Klima) التي استخدمها العالم اليوناني هيبارس في القرن الثاني قبل الميلاد في سنة (١٤٠) ق.م حين ابتكر نظاما من الخطوط الموازية لخط الاستواء والتي تقسم سطح الارض الى مناطق وفقا لطول النهار في كل منطقة وقت الانقلاب الصيفي[٢].

وبالرغم من ان كلمة اقليم تعد يونانية المنشأ الا ان فكرة الاقليم ظهرت قبل استخدام هذا اللفظ بقرون عدة وذلك في حضارة وادي الرافدين كما يتضح من اساطيرهم ، وهذا ما نراه من خلال قطعة ادبية جاءت باللغة السومرية تصف تنظيم الاله انكي للكون والاقاليم اطلق عليها الباحثون المختصون عنوانا هو(انكي وتنظيم الكون) ، وخلاصة الاسطورة ان الاله انكي قام برحلة في اقاليم الارض المعروفة آنذاك من بلاد سومر ليسبغ بركاته وينشر عناصر العمران والحضارة فيها ، واضطلع من بعد ذلك بتنظيم احوال الارض وانهارها وبحارها ، فملأ نهري دجلة والفرات بالمياه العذبة وبالأسماك ، واوجد احراش القصب والاجر وكثر الحيوانات ، ومن اجل تنظيم شؤون المجتمع الانساني عين الهة يتولى كل منها ناحية معينة من النشاط الحضاري ، فمثلا خصص للإشراف على الانهار وشؤون الري الها اسمه ابيلولو والاله اينكندو ENKINDU للفلاحة والزراعة والالهة أشنان ASNAN للخضار والغلال ، والاله DUMUZI (تموز) للماشية والغنم والرعي وغيرها[٣].

ومما ساعد سكان حضارة وادي الرافدين معرفتهم بالأقاليم هو تأثير البيئة الجغرافية عليهم فبما ان الاقاليم التي سكنت من قبلهم قدمت ببنائها امكانات طبيعية وحياتية

(١) قصي عبد المجيد السامرائي ، المناخ والأقاليم المناخية ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٨ ، ص ١٩١ .

(٢) محمد محمود محمدين ، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ، ط٢ ، دار الخريجي للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٩٩٦، ص١٦٢.

(٣) عامر عبد الله نجم الجميلي ، المعارف عند العراقيين القدماء ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٦، ص٣.

ساعدتهم على العيش والتطور لذا فان الارض التي تم استيطانها تعد توصيف ثقافي نتج عن تفاعل سكان هذه الحضارة مع البيئة الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك(١).

وهذا ما تؤكده المصادر الاثارية فعند العودة الى القطعة الادبية التي كتبت باللغة السومرية نجد كيف ان سكان سومر قد قسموا اجزاء الارض المحيطة بهم الى اقاليم طبيعية وبشرية شملت الاقاليم الطبيعية: **الانهار والبحار والاحراش والقصب والاجر والحيوانات** ، بينما تمثلت الاقاليم البشرية بأقاليم النشاط الحضاري المتمثل : **بمناطق الفلاحة والزراعة ، ومناطق الخضار والغلال ، ومناطق الغنم والرعي وغيرها من مظاهر الحياة الحضرية.**

كما حاول سكان حضارة وادي الرافدين تمييز اراضيهم عما يجاورها من أراضي ، وتبعا لذلك عملوا على تقسيم المناطق المحيطة بهم الى اقاليم ، وقد ادت المعارك التي خاضها ملوك حضارة وادي الرافدين الى اتساع معرفتهم بهذه الاقاليم ، وهذا ما دفعهم الى تدوين الملاحظات عن تلك الاقاليم ، اذ دون البابليون قوائم بالبيانات الجغرافية التي عرفوها عن الأقاليم المختلفة مثل قوائم الملك ((سرجون)) ، وتعد بعض هذه البيانات ارشادات للسفر ومعلومات عن الطريق ، ويبدو أنها كانت خاصة بالأعمال الادارية والغالب ان هذه البيانات ظهرت نتيجة لتغلب الحكام على الاقاليم المحيطة بهم والتي تستدعي بيانات جغرافية يتمكن من خلالها من ادارة اعمالهم.

ومن الامور التي ساعدت على ظهور الاقاليم في حضارة وادي الرافدين اهتمامهم بمعرفة موقع بلادهم بالنسبة لما يجاورها ، وهذا ما يتضح عند البابليون الذين عملوا على تقسيم الارض الى أربعة مناطق أو أقاليم هي: ((عيلام)) في جنوب بابل ، و((أكاد)) في الشمال ، و((سوبارتو)) ، في الشرق ، و((أمورو)) في الغرب(٢).

وقد حددت هذه المناطق الاربعة أو الاقاليم على اساس الاتجاهات الاربعة الاصلية التي ادركها سكان العراق القديم ، ففي النص المسماري المعروف بجغرافية شروكين

---

(١) بشار خليف ، الاراميون – الكلدانيون–الكنعانيون– العرب: الالف الاول ق.م ، دورية كان التاريخية (علمية ، عالمية ، محكمة ، ربع سنوية) ، العدد الثالث عشر ، ٢٠١١ ، ص ص ٣٦–٤٣: نقلا عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية:.http://www.kanhistorique.org

(٢) محمد محمود محمدين ، مصدر سابق ، ص ص٧٠–٧١.

(سرجون) الأكدى يتطابق شعبا امورو ولولبو مع الاتجاهات ، اذ يحدد لنا الاموريين آمرٌ amurru بأنهم "شعب الجنوب" (وربما قصدوا الجنوب الغربي لأن آمر تعني الغرب وهو الموطن الذي قدم منه الاموريون) ، بينما يحدد اللوبيين بأنهم "شعب الشمال"، والغالب ان ذلك يشير الى نظام تحديد مواقع الشعوب بالجهات الاربع ، كما يمكن ان نستدل على ذلك من خلال النص التنجيمي الآتي: ((جهة الجنوب بلاد عيلام ، جهة الشمال بلاد اكد ، جهة الشرق بلاد سوبارتو وكوتيوم ، جهة الغرب بلاد آمورو)) [١].

كما أدرك البابليون في نهاية الألف الثالث ق. م وبداية الألف الثاني ق. م وجود اختلافات مناخية على سطح الأرض ناجمة عن اختلاف شروق الشمس بين منطقة وأخرى، وهذا دفعهم لتقسيم سطح الأرض الى منطقتين : أولاهما المنطقة الجنوبية المشرقة التي تقع فيها مدينة بابل وما يصاحب ذلك من ضوء وحرارة ، وثانيهما المنطقة الشمالية (الجزيرة المظلمة والباردة) إدراكا منهم باختلاف طول الليل والنهار فاعتقدوا أن النهار يأخذ بالقصر كلما اتجهنا شمالاً حتى يختفي النهار ويصبح الوقت كله ليلاً ، ويتضح هذا التصنيف من نص بابلي يعود إلى الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق. م ، لاحظ الشكل (١).

الشكل(١) خارطة العالم كما وضعها البابليون قبل ٤٠٠٠ سنة[٢]

(١) عامر عبد الله نجم الجميلي ، مصدر سابق ، ص ٦.

(٢) نقلا عن الانترنيت: http://sopk.yoo7.com.

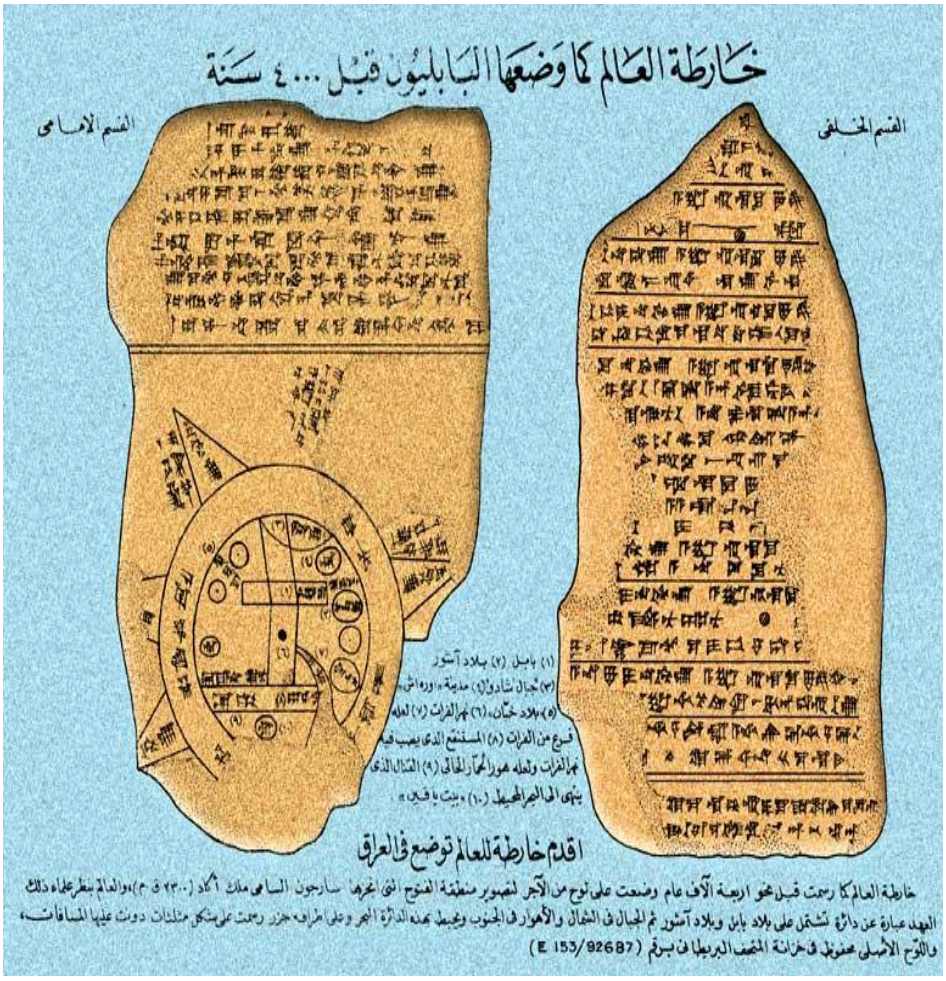

ويمثل النص " في هذه الخارطة مواضع المدن والبلدان بدوائر ... ووضعت في وسط الدوائر او بقربها أسماء تلك المدن، أما المثلثات المستقرة على المنطقة الخارجية من الخارطة فتشير إلى الأقاليم الأجنبية ... وتسمي الجزيرة الشمالية بالجزيرة التي (لا ترى الشمس)"[1].

مما عرض يتضح ان سكان حضارة وادي الرافدين ادركت مفهوم الاقاليم الطبيعية من خلال ادراكهم لوجود اختلافات مناخية على سطح الأرض ناجمة عن اختلاف شروق

(١) رائد راكان قاسم الجواري ، الأصالة والابداع الجغرافي في الحضارات القديمة (الحضارة اليونانية) ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ٢٠١٣ ، ص ص ١٢٥-١٢٦.

الشمس بين منطقة وأخرى، وهذا دفعهم لتقسيم سطح الأرض الى منطقتين : المنطقة الجنوبية المشرقة ، والمنطقة الشمالية (الجزيرة المظلمة والباردة) ، كما ادركوا مفهوم الاقاليم البشرية من خلال وضع قوائم للأقاليم ، وتقسيم الارض الى أربعة مناطق أو أقاليم هي: ((عيلام)) في جنوب بابل ، و((أكاد)) في الشمال ، و((سوبارتو)) في الشرق ، و((أمورو)) في الغرب.

المبحث الثاني: تأثير حضارة وادي الرافدين على ظهور فكرة الاقليم في العصور القديمة

يتمثل ظهور الافكار الجغرافية الاقليمية فترة الحضارات القديمة بالتقسيمات الاقليمية التي تركتها الحضارة اليونانية ، وبما ان الافكار التي اشارت اليها حضارة وادي الرافدين والمتضمنة على تقسيم سطح الارض الى قسمين شمالي وجنوبي ظهرت نهاية الألف الثالث ق.م وبداية الألف الثاني ق.م في فترة لم تنشأ بها بعد الحضارة اليونانية لذلك فمما لا شك فيه تعد اراء اليونان في هذا الجانب تعد متأخرة الظهور وخاصة ان افكارهم في ظهور الاقاليم لم تظهر الا خلال منتصف القرن الاول ق.م. (١).

ونرى ان الحضارة اليونانية تأثرت في تقسيمها للأرض الى أقاليم بالتقسيم الذي ظهر في حضارة وادي الرافدين من حيث قيامهم بتقسيم سطح الارض بالاعتماد على الاختلافات المناخية على سطح الأرض ، فقد ادرك الفلاسفة اليونانيون منذ القرن الخامس ق.م وجود اختلافات بين اوجه سطح الارض ، اذ اتاح الموقع الجغرافي لليونان الواقع في جنوب اوروبا على البحر المتوسط للفلاسفة اليونانيين من اتصالهم بالعالم ، وهذا ما مكنهم من ادراك وجود اختلافات بين مناطق العالم تؤدي إلى ظهور عدة اقسام فوق سطح الارض لكل منها خصائص تختلف عما يجاورها ، ولهذا فقد عملوا على

(١) للمزيد من التفاصيل حول تأثير حضارة وادي الرافدين على الحضارة اليونانية ينظر: عبد الرحمن بن اعطي الله ، دور مدرسة الاسكندرية في تطور العلوم القديمة خلال القرنين الثالث والثاني ق.م . الرياضيات والهندسة انموذجا ، دورية كان التاريخية (علمية ، عالمية ، محكمة ، ربع سنوية) ، العدد التاسع عشر ، ٢٠١٣ ، ص ص ٩٧-١٠٠: **نقلا عن المكتبة الافتراضية العلمية العراقية:** http://www.kanhistorique.org.

تقسيم العالم الى ثلاثة أقاليم بالاعتماد على العلاقة بين دوائر العرض ودرجة الحرارة وهي:

١- **الإقليم الحار** : يتميز بعدم وجود فصل الشتاء فيه ويقع في وسط الأرض بين المدارين.

٢- **الإقليم المعتدل** : ويتميز بظاهرة الفصول الأربعة ويمتد الى الشمال والجنوب من الإقليم السابق.

٣- **الإقليم البارد** : والذي يتميز بعدم وجود فصل صيف فيه ويقع عند القطبين(١).

أما أرسطو فقد اتخذ في القرن الرابع ق . م . تقسيم العالم إلى أقاليم مناخية على أساس خاصية واحدة وهي تباين درجة الحرارة فوق سطح الارض ومدى صلاحيتها للسكن ، اذ قسم العالم إلى خمسة اقسام اعتقد ان قسمين منهما يمثلان طرفين للعالم احدهما يقع في الناحية الشمالية والثاني يقع في الناحية الجنوبية ، اما القسم الثالث فيراه يتوسط القسمين الشمالي والجنوبي ، ثم وضع القسم الرابع بين القسم الثالث والقسم الشمالي والقسم الخامس بين القسم الثالث والقسم الجنوبي ، وقد ظنّ أرسطو ان القسمين الشمالي والجنوبي لا يعمران لغلبة البرد فيهما ، كذلك القسم الثالث لا يعمر لشدة الحر فيه ، اما القسمان الرابع والخامس فقد اعتقد انهما يعمران ، لان الحرارة والبرودة لا تكونان شديدتين فيهما (٢).

كما تظهر المفاهيم الإقليمية عند الفلاسفة اليونانيين في خرائطهم ، اذ يتضح من خارطة هيكاتايوس للعالم خلال القرن السادس ق، م ،لاحظ الشكل (٢) ، انها شملت اليونان بالدرجة الاساسية ، ومن ثم البحر المتوسط والمناطق المحيطة بها على امتداد العالم القديم.

---

(١) عادل سعيد الراوي ، قصي عبد المجيد السامرائي ، المناخ التطبيقي ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ،١٩٩٠، ص ١٣٤.

(٢) أرسطو طاليس ، شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية ورسائل أخرى ، حققها وقدم لها عبدالرحمن بدوي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦، ص ص١٢٢-١٢٣.

الشكل (٢) العالم لهيكاتايوس[١]

ومع زيادة الافق الجغرافي اليوناني حول اوجه سطح الارض ازدادت الاقسام الجغرافية الموضحة في خرائطهم ، كما يتضح من خريطة ايراتوستين للعالم خلال القرن الثاني ق. م ، لاحظ الشكل (٣).

الشكل (٣) العالم لايراتوستين[٢]

(١) رائد راكان قاسم الجواري ، أطلس العالم للشريف الادريسي ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ، ٢٠١٤ ، ص ٧.

(٢) رائد راكان قاسم الجواري ، أطلس العالم للشريف الادريسي ، مصدر سابق ، ص ٨.

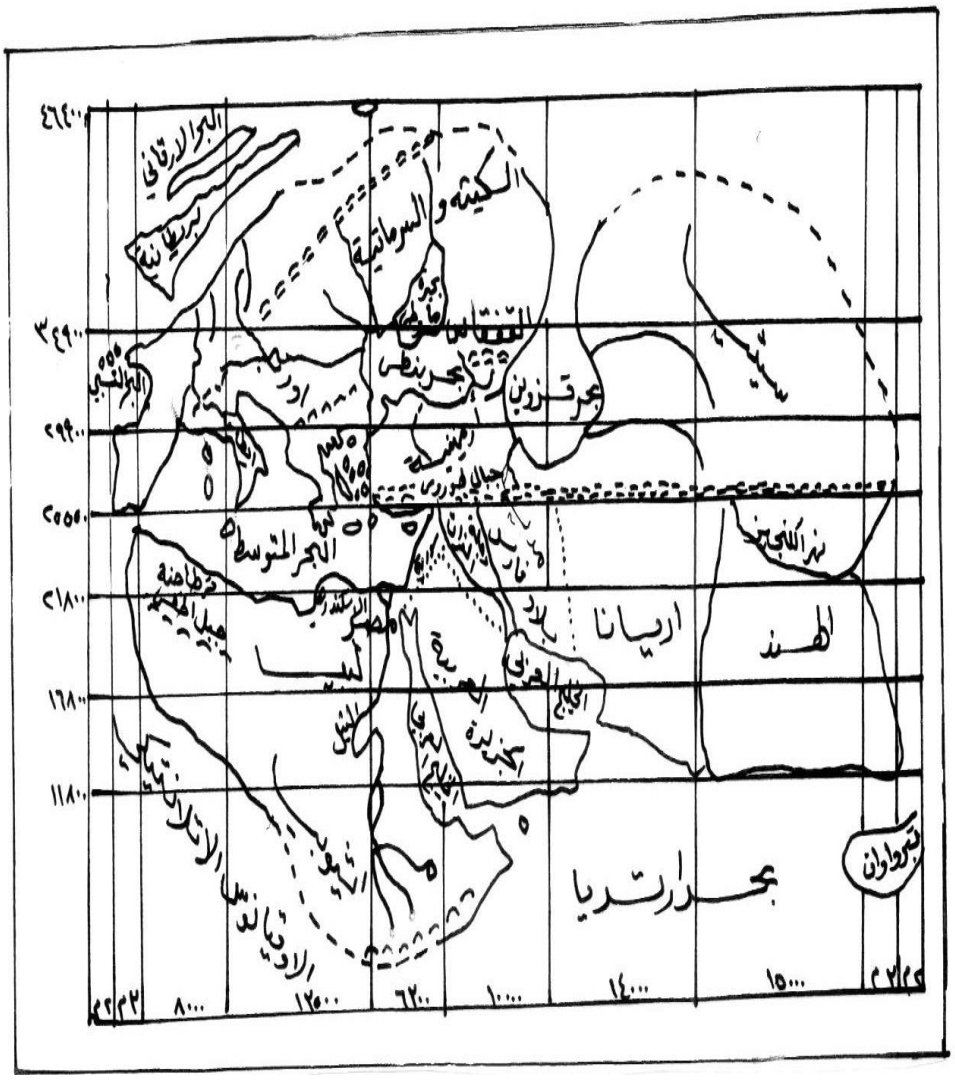

واتخذ بطليموس في القرن الثاني الميلادي من توزيع العمران فوق سطح الارض اساساً في تقسيم العالم إلى أقاليم ، وقد استعان في تعيين مواقعها بدوائر انصاف النهار ، ومقدار متوازيته من كرة السماء التي منها تمكن من معرفة مقادير الليل والنهار والبعد عن مواقع النجوم [١] ، لاحظ الشكل(٤).

(١) بطليموس ، الجغرافية ، (ترجمة عربية) ، انجزت عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م ، اعادة طبع النشرة التصويرية لمخطوطة ايا صوفيا ٢٦١ ، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، جمهورية المانيا الاتحادية ، ١٩٨٧، ص ٦.

اذن في ضوء التقسيمات الاقليمية التي وضعها اليونان نجد انها ليست الا امتداد لما وضعه سكان حضارة وادي الرافدين من تقسيم اجزاء الارض الى مناطق لكل منطقة خصائص معينة ، كما نرى ان التقسيم الاقليمي الذي ساد لدى سكان العراق القديم هو التقسيم الذي ظهر فيما بعد لدى اليونان ولكن بشكل اكثر تطورا .

الشكل (٤) العالم لبطليموس (١)

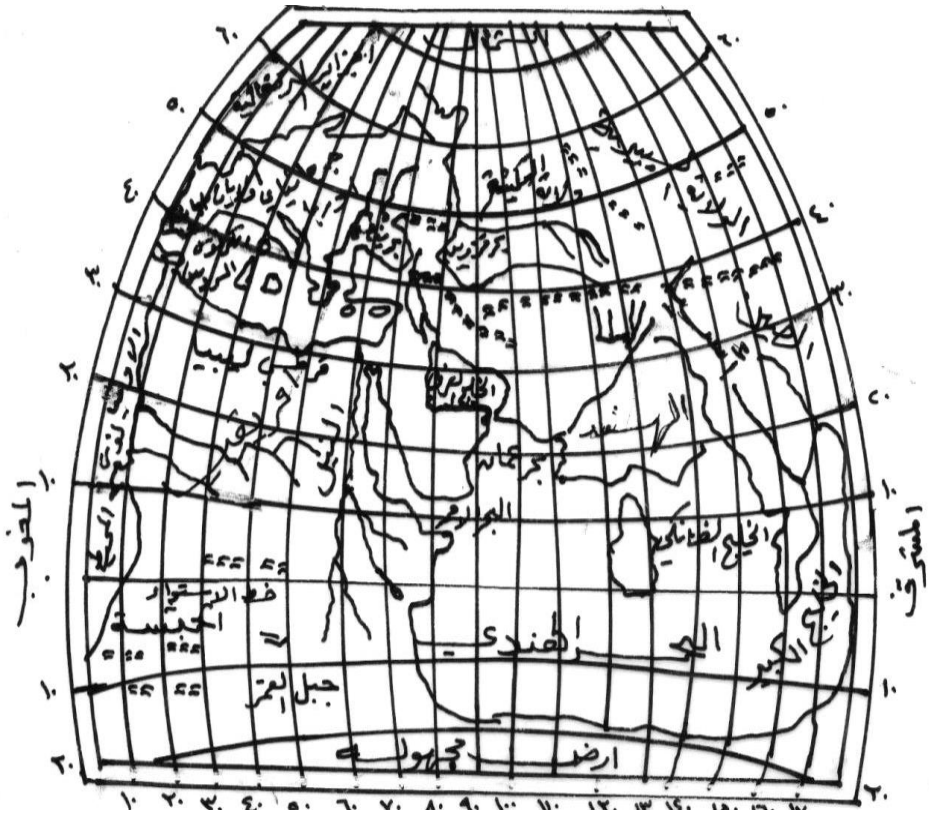

المبحث الثالث: الحضارة العربية الاسلامية تضع افكارها الجغرافية الاقليمية في ضوء التقسيم الاقليمي في حضارة وادي الرافدين

من الامور المهمة التي سادت في حضارة وادي الرافدين والتي تركت فيما بعد تأثيرا كبيرا في ظهور الاقاليم خلال العصور الوسطى متمثلة بظهور الاقاليم في الحضارة

(١) رائد راكان قاسم الجواري ، مصدر سابق ، ص ٩.

العربية الاسلامية هي اعتقادهم ان هناك علاقة قوية بين العدد سبعة وكل ما يرتبط بحياتهم من عبادات ومظاهر طبيعية وبشرية ، فقد اعتقدوا ان اعداد الالهة يكون سبعة ، واعداد السموات والارض سبعة واعداد الاجرام السماوية سبعة والاسبوع البابلي كان يتكون من سبعة أيام ، كما انهم ربطوا هذا العدد بالطب والعلاج ، والكثير من معتقداتهم التي سادت آنذاك[١].

ومن الحقائق التي تبناها سكان حضارة وادي الرافدين في دراستهم لسطح الارض والتي لها علاقة بالأقاليم والعدد سبعة هي انهم وضعوا بابل في وسط الكون واعتقدوا ان هناك سبعة جزر تحيط بها ، وهي تتمثل في خارطتهم للعالم بسبعة مثلثات تقع خارج المحيط السماوي على أطراف الاقيانوس دونت عليها مسافات تشير الى بعد بعضها عن بعض ، والراجح أن هذه المثلثات كانت في عقيدة أهل بابل القدماء تمثل الجزائر الكونية المحيطة بالعالم ، وهي مقر الآلهة ، والمهم في هذه المثلثات أنه كتب عند المثلث الشمالي ((لا ترى الشمس هنا)) ، وهذا يدل دلالة واضحة على ان البابليين كانوا على معرفة بطبيعة القطب الشمالي والظلام الذي يسود فيه ، واللوح الذي رسمت عليه هذه الخارطة محفوظ في خزانة المتحف البريطاني[٢]،لاحظ الشكل(٥).

الشكل (٥) أقدم خارطة للعالم رسمها اهل بلاد الرافدين القدامى[٣]
وهي تظهر سبعة مثلثات تقع خارج المحيط السماوي على أطراف الاقيانوس

(١) بشير الاسود ، الرقم سبعة في الحضارة العراقية القديمة الدلالات والرموز ، مكتبة الطليعة العلمية ، المملكة الاردنية الهاشمية ، ٢٠١٣، ص ص ٥-١٠.

(٢) أحمد سوسة ، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية ، ج١ ، ساهمت مؤسسة كولبنكيان مع نقابة المهندسين العراقية بنشره ، بغداد ، ١٩٧٤، ص٣٢.

(٣) نجيب عبد الرحمن الزيدي ، حسين مجاهد مسعود ، علم الخرائط ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٥ ، ص١٤.

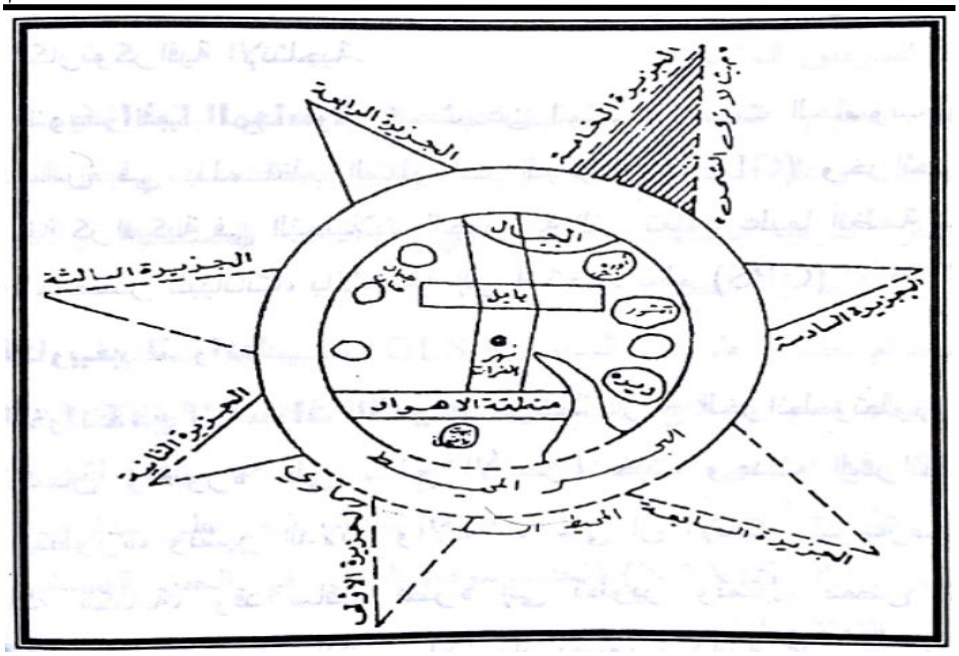

وما يهمنا من هذه الجزر السبعة هو ان فيها دلالة على تقسيم سطح الارض الى سبعة مناطق قائمة على الاختلافات الاقليمية ، كما يمكن اثبات ذلك من خلال العبارة في المثلث الشمالي ((لا ترى الشمس هنا)) ، أي ان هذه المثلثات السبعة تختلف فيما بينها من حيث شروق الشمس وغروبها ، وفي هذا دلالة على ظهور تقسيم اقليمي لسبعة اقاليم تحيط ببابل او بحضارة وادي الرافدين ، وهي تختلف فيما بينها من حيث شروق الشمس وغروبها ، وعلى الرغم من بساطة هذا التقسيم لسطح الارض الا انه كان له دور كبير في ظهور الاقاليم المناخية في الحضارة العربية الاسلامية خلال العصور الوسطى.

فقد قسم العلماء العرب سطح الارض الى سبعة اقاليم والشيء المثير للدهشة انهم جعلوا بابل وسط هذه الاقاليم كما سارا على ذلك سكان حضارة وادي الرافدين ، لاحظ الشكل (٦)، وتتضح الاقاليم السبعة التي وضعها العلماء العرب في كتاب (المدهش) ، للجوزي ، فقد بين ان أقاليم الأرض سبعة: فالإقليم الأول: **الهند** ، **والثاني: الحجاز** ، **والثالث: اقليم مصر** ، **والرابع: اقليم بابل** ، **والخامس: اقليم الروم والشام** ، **والسادس:**

بـلاد التـرك ، والسـابع: بـلاد الصـين[١] ، وبعد ان حدد العلمـاء العرب الاقـاليم السبعة وضعوا في كل اقليم من الاقاليم السبعة العمران الذي يتضمنه ، وهذا ما يتضح في ضوء الاتي[٢]:

الشكل (٦)

توسط بابل الاقاليم السبعة التي ظهرت في خرائط الحضارة العربية الاسلامية[٣]

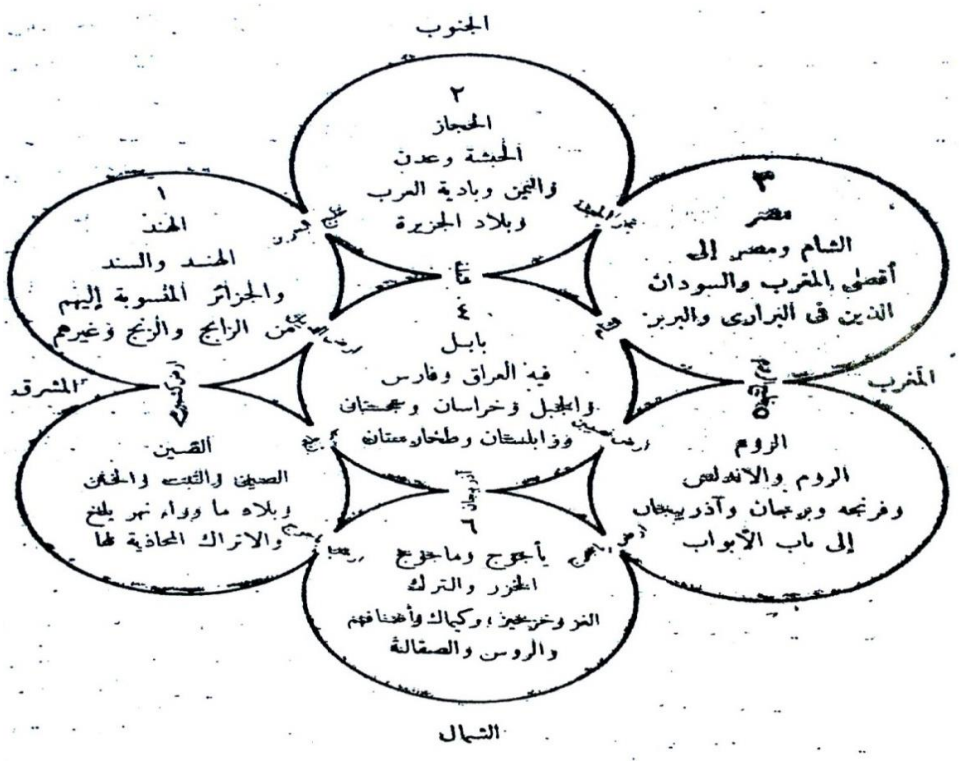

الاقليم الاول

(١) ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، الباب الرابع في ذكر عيون التواريخ وفيه فصلين عن :أقاليم الأرض ومعدنها ، من كتاب(المدهش) ، تحقيق احمد الطاهر حامد البسيوني ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص٦٣.

(٢) احمد سوسة ، العراق في الخوارط القديمة ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩، ص١٦.

(٣) المصدر السابق ، ص١٧.

يسمى الهند وهو الى الشرق الشمالي من الاقليم الرابع ، ويشمل الهند والسند والجزائر المسوبة اليهم من الزابج والزنج وغيرهم.

الاقليم الثاني

يسمى الحجاز وهو الى الجنوب من الاقليم الرابع مباشرة ويشمل الحجاز والحبشة وعدن واليمن وبادية العرب والجزيرة .

الاقليم الثالث

يسمى مصر وهو الى الغرب الشمالي من الاقليم الرابع ويشمل الشام ومصر الى اقصى المغرب والسودان الذين في البراري والبربر.

الاقليم الرابع

يسمى بابل وهو وسط الاقاليم السبعة ، ويشمل العراق وفارس والجبل وخرسان وسجستان وزابلستان وطخارستان.

الاقليم الخامس

يسمى الروم ، وهو الى الغرب الجنوبي من الاقليم الرابع ، ويشمل الروم والاندلس وفرنجة وبرجان وآذربيجان الى الابواب.

الاقليم السادس

يسمى ياجوج وماجوج ، وهو الى الجنوب من الاقليم الرابع مباشرة ويشمل الخزر والترك الغز وخرخير وكيماك والروس والصقالبة.

الاقليم السابع

يسمى الصين ، وهو الى الشرق الجنوبي من الاقليم الرابع ، ويشمل الصين والتبت والختن ، وبلاد ما وراء نهر بلخ والاتراك المحاذية لها.

ويظهر تقسيم العالم الى سبعة اقاليم عند البيروني ، فقد اتخذ الأسس الآتية في دراسته للأقاليم:

اولا: تقسيم سباعي حسب درجات العرض فيما يمكن أن نطلق عليه أقاليم نهارية لأن الاساس طول النهار.

ثانيا: ذكر المادة الجغرافية حسب الظاهرات ، مدن ، جبال ، بحار.

ثالثا: عرض المادة في جداول أو قوائم بحيث يمكن أن تسمى ((جغرافية القوائم)) ، أو الجغرافيا الجدولية [١] ، لاحظ الشكل (٧).

الشكل (٧) تقسيم الأقاليم السبعة كما رسمها البيروني[٢]

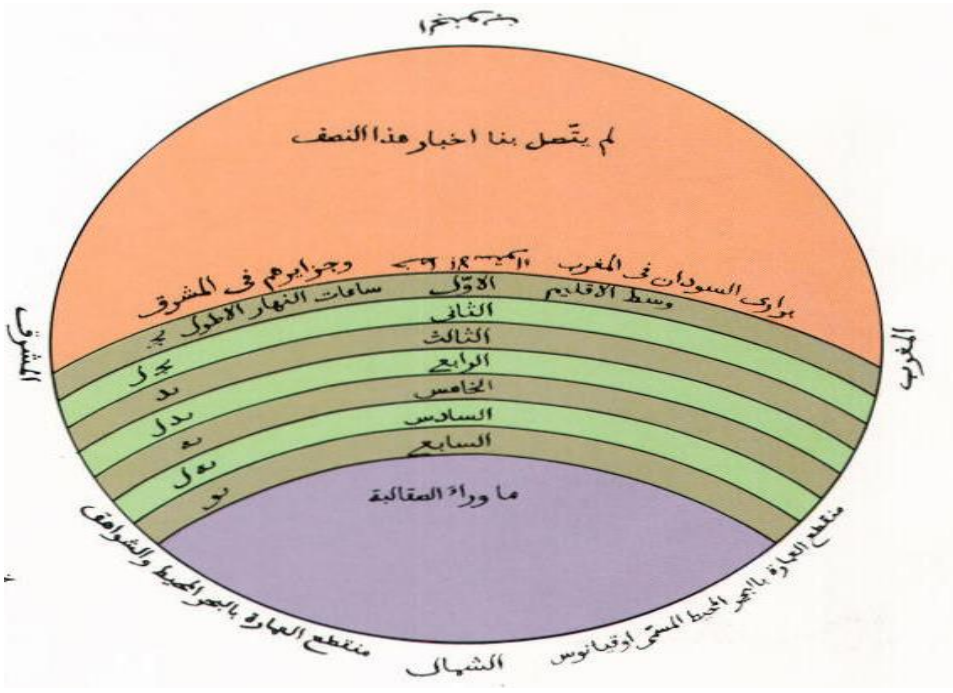

وفي القرن الثاني عشر الميلادي تمكن الادريسي من اثبات أن تقسيم اليونان للعالم الى خمسة نطاقات مناخية (اثنان باردان ، واثنان معتدلان ، وواحد حار) لا يتفق والواقع الأمر الذي دعاه الى اقتراح نسق مناخي للعالم [٣] ، قائم على تقسيم العالم الى سبعة اقاليم مناخية ، لاحظ الشكل (٨) ، وفي هذا الصدد يقول الادريسي:

''وهذا الربع المسكون من الأرض قسمه العلماء سبعة أقاليم كل إقليم منها من المغرب إلى المشرق على خط الاستواء وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية لكنها خطوط

(١) محمد محمود محمدين ، مصدر سابق ، ص ١٦٦.

(٢) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ،مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٧، ص٢٢.

(٣) اريلد هولت ينسن ، الجغرافية تاريخها ومفاهيمها ، (ترجمة عوض يوسف الحداد ، ابي القاسم عمر اشتوي) ، منشورات جامعة قان يونس ، بنغازي ، ١٩٨٨، ص٤١.

وهمية محددة موجودة بالعالم ألنجومي وفي كل إقليم منها عدة مدن وحصون وقرى وعيونا وانهارا جارية وبركا راكدة ومعادن و نباتات و حيوانات مختلفة ''[١].

ولكي يتمكن الادريسي من تقسيم العالم الى سبعة اجزاء فقد وضع نظامه الاحداثي مستند الى تقسيم سطح الأرض إلى شبكه متكونة من تقاطع خطوط الطول ودوائر العرض ، وقد أقام نظامه هذا على أساس الاختلافات المناخية الحاصلة بين خط الاستواء والمناطق الشمالية والجنوبية من الأرض ، وفي ضوء ذلك وضع سبعة أقاليم مناخية تمتد من المغرب إلى المشرق بين المناطق الحارة في الربع الجنوبي من الأرض الواقع فوق خط الاستواء إلى الربع الشمالي البارد من الأرض ، وفي هذا الصدد يقول الإدريسي :

'' وهذا الربع المسكون من الأرض قسمه العلماء سبعة أقاليم كل إقليم منها مار من هذه الأقاليم بخطوط طبيعية لكنها خطوط وهمية محددة موجودة بالعلم النجومي وفي كل إقليم منها عدة مدن و حصون و قرى و أمم لا يشبه بعضهم بعضا و أيضا فأن في كل إقليم منها جبالا شامخة ووهادا متصلة وعيونا و انهارا جارية و بركا راكدة و معادن ونباتات وحيوانات مختلفة ''[٢].

وحصر الإدريسي أقاليمه السبعة بين الجزء المعمور من الارض ولذلك فقد اعتقد ان الربع الجنوبي من الأرض الواقع فوق خط الاستواء لا يصلح للعمران لشدة الحرارة فيه ، كذلك الربع الشمالي من الأرض ظن انه لا يصلح للعمران لشدة البرودة فيه [٣] ، أما خطوط الطول فوضعها الإدريسي من خلال تقسيم طول كل إقليم من الأقاليم ، وبجمع الأجزاء السبعون ظهرت خارطة الإدريسي للعالم الشاملة لكل إنحاء الاقاليم المناخية للعالم المعروف آنذاك ، وفي ذلك يقول الإدريسي:'' ولما أردنا رسم هذه المدن في الأقاليم

(١) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني الملقب بالشريف الإدريسي ، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق ر.ربيناتشي ، ت . ليفيكي ، ف . مونتيل ، م . ت . بيتى سوما ، وآخرون ، مجلد (١) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨ .

ومسالكها وما تحتوي عليه أممها قسمنا طول كل إقليم منها على عشرة أجزاء مقدرة من الطول والعرض ،،[1].

الشكل (٨)
خارطة العالم المستطيلة للشريف الإدريسي

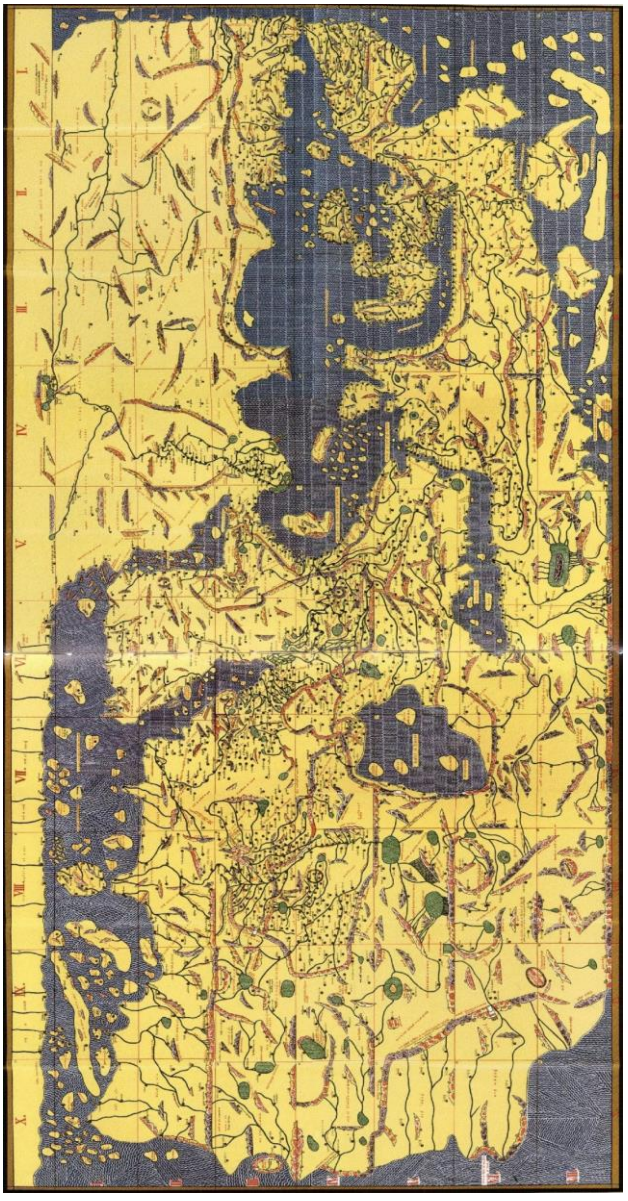

(١) الشريحة #219 ، خارطة العالم للإدريسي ، اكسفورد بوكوك مخطوط ، بودليايان مكتبة ، اكسفورد (السيدة بوكوك ٣٧٥ – R4-FOLS C3) ،، نقلا عن الانترنيت:
http://www.henry.divis.com/maps/ Emwebpagea /219html
ملحوظة : ان الخارطة مقلوبة في الأصل فالشمال في للأسفل و الجنوب في الأعلى ، وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

ونجد ان النهج الذي سار عليه الادريسي في تقسيم العالم الى اقاليم مناخية ، اصبح من الامور المتبعة في الدراسات الحديثة ، فقد حاول العلماء إيجاد تصانيف مناخية عدة ، وهذا ما تناول ملر عام ١٩٤٨ عندما قسم العالم إلى أقاليم مناخية أوضح فيها مفهوم التصنيف المناخي بانه تفاعل العوامل المختلفة التي تؤثر في الأحوال المناخية بعضها مع بعض وتفاعلها مجتمعة يؤدي الى ظهور طائفة متباينة من أنواع المناخ ، كما يرى أن ما يهم في تقسيم العالم إلى أقسام مناخية هو معرفة القواعد التي يمكن السير عليها في أجراء ذلك التقسيم ، وهذه القواعد تختلف باختلاف هدف التقسيم منها[١] ، ويرى كراتجفيلد ان أهمية التصنيف المناخي تتوقف بصورة كبيرة على الغرض الذي من اجله اعد له التصنيف[٢].

في حين يعتقد خروموف ان الظروف والعوامل الجغرافية المختلفة غير المتجانسة والمؤثرة في مناخ سطح الكرة الأرضية تؤدي إلى إيجاد مختلف الأنماط والأنواع المناخية على نطاق الأرض المختلفة لتظهر موضوع ظاهرة النطاقية ، وتعد مناطق الضغط الجغرافية على سطح الأرض من أهم العوامل الأساسية في توزيع الانطقة المناخية المختلفة[٣]، لاحظ الشكل (٩) ، من خلال ذلك يمكن ان نستخلص ان التصنيف المناخي هو تقسيم سطح الأرض إلى عدة وحدات لكل وحدة خصائص مناخية متشابهة مقارنة بما يحيطها من وحدات.

---

(١) اوستن ملر ، علم المناخ ، (عربه محمد متولى) ، ج١ مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨، ص٨٢.

(2) H.J.Critchfield , General Climatology, 2nd.ed., Prentice-Hall New Jersey,1966, P.145.

(٣) خروموف . س. ب ، الطقس والمناخ والإرصاد الجوي ، ج١ ، (ترجمة فاضل باقر الحسيني ومهدي محمد علي الصحاف) ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٧، ص٢٢٥.

الشكل (٩) أشعة الأرض ونطاقات الأرض المناخية[١]

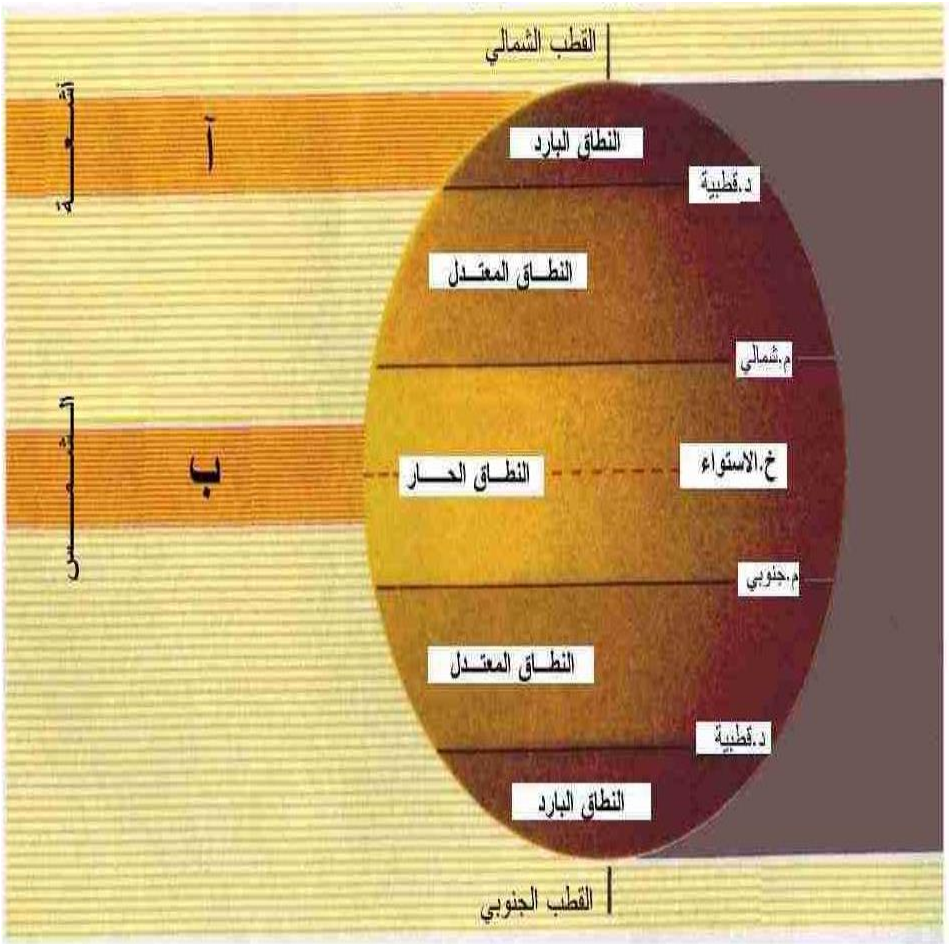

ومن التصانيف المناخية المهمة التي تناولت تقسيم سطح الأرض تقسيم كوبن Koppen – عالم النبات الألماني الذي كرس حياته لدراسة المشاكل المناخية – . الذي يرمي الى ربط المناخ بالنبات . وقد تضمن تقسيمه خمس فئات رئيسة وهي :-

أ- إقليم النباتات المدارية الحارة (Megatherms)

ب- إقليم النباتات الجافة (Xerophytes)

ج- إقليم النباتات المعتدلة الدافئة (Mesotherms)

---

(١) نقلا عن الانترنيت:

http://www.infpe.edu.dz/COURS/Enseignants/Secondaire/geographie

د- إقليم النباتات الباردة (Microtherms)

هـ- إقليم النباتات القطبية (Hekistotherms)[١].

مما عرض يتضح ان تقسيم علماء بابل للعالم الى سبعة اقاليم تحيط ببابل اصبح من المناهج التي سارا عليها العلماء في الحضارة العربية الاسلامية من خلال تقسيمهم العالم الى سبعة اقاليم وضعت بابل في وسطها ، كما ان اعتماد سكان بابل على الاختلافات المناخية في اقاليمهم والتي تمثلت في المناطق التي ترى الشمس والمناطق التي لا ترى الشمس اصبحت من الامور المهمة في التصانيف الاقليمية عند علماء العرب ، كما اتضح عند الادريسي بتقسيمه العالم الى سبعة اقاليم مناخية ، وهذا التقسيم للعالم المعتمد على المناخ اصبح من التقاسيم المستخدمة في الدراسات المناخية الحديثة.

المبحث الرابع: العلوم الحديثة تقتبس اولى افكارها الجغرافية الاقليمية من حضارة وادي الرافدين

عند العودة الى الاساطير التي ظهرت عند سكان سومر نجد انهم قسموا اجزاء الارض المحيطة بهم الى اقاليم طبيعية وبشرية شملت الاقاليم الطبيعية: **الانهار والبحار والاحراش والقصب والاجر والحيوانات** ، بينما تمثلت الاقاليم البشرية بأقاليم النشاط الحضاري المتمثل : **بمناطق الفلاحة والزراعة ، ومناطق الخضار والغلال ، ومناطق الغنم والرعي وغيرها من مظاهر الحياة الحضرية**[٢].

وهذا التقسيم لسطح الارض الذي ظهر لدى السومريين بالرغم من بساطته الا انه اصبح من التقاسيم المهمة في الدراسات العلمية الحديثة والتي تعمل على تقسيم سطح الارض الى قسمين هما: **الاقاليم الطبيعية والاقاليم البشرية** ، كما مبين ادناه.

---

(١) جهاد علي الشاعر ، جغرافية المناخ (دراسات في المناخ الاقليمي) ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، ٢٠٠٥، ص ص٤٤-٤٥.

(٢) عامر عبد الله نجم الجميلي ، مصدر سابق ، ص٣.

١. الأقاليم الطبيعية

ابتكر الأقاليم الطبيعية هربرتسون Harbrstson اذ استعمل لفظ "طبيعي" لتلك الأقاليم التي لها قدر من التجانس الطبيعي بين العلاقات الطبيعية والعلاقات البشرية إلى حد يجعلها بارزة لتمتاز من الأقاليم التي يضع الانسان حدودها مثل الاقسام السياسية ، وقصد بهذا المفهوم تقسيم اقليمي قائم على اساس غير صناعية ينطوي على الظواهر الطبيعية التي تقع ضمن اختصاص الجغرافي[١].

ومن اشكالها البنية ، التضاريس ، المناخ، خصائص التصريف ، التربات ، النبات الطبيعي [٢]، نذكر منها على سبيل المثال التصنيف الذي طوّره دوفي ولنسر بين عامي (١٨٦٥-١٨٧٧)[٣]، وتصنيف كوبن ١٩١٨ لسطح الارض على أساس اختلاف معدل درجة الحرارة وسقوط الامطار [٤]، وتضيف ثورنثويت عام ١٩٣١ لسطح الأرض المبني على اساس كثافة بخار الماء والكفاية الحرارية [٥] ، لاحظ الشكل (١٠).

(١) جيمس ريفورد واطسون ، النواحي الاجتماعية في الجغرافية ، في الجغرافية في القرن العشرين ، جريفث تيلور ، ج٢ ، (ترجمة محمد السيد غلاب ومحمد مرسي ابو الليل) ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص١٧٠.

(٢) تي . دبليو . فريمان ، قرن من التطور الجغرافي ، (تعريب شاكر خصباك) ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٦، ص ١٩٩.

(3) J .E. Oliver, Climate and Mans Environment. John Willey, Cand , 1973 , p. 172

(4) J. S.Grifiths , Climatology an Introduction , Oxford University Press, London 1966, p. 28

(5) .H. J. Critchfield , OP.Cit., p. 151.

الشكل(١٠) الاقاليم الطبيعية (العالم طبيعية) [١]

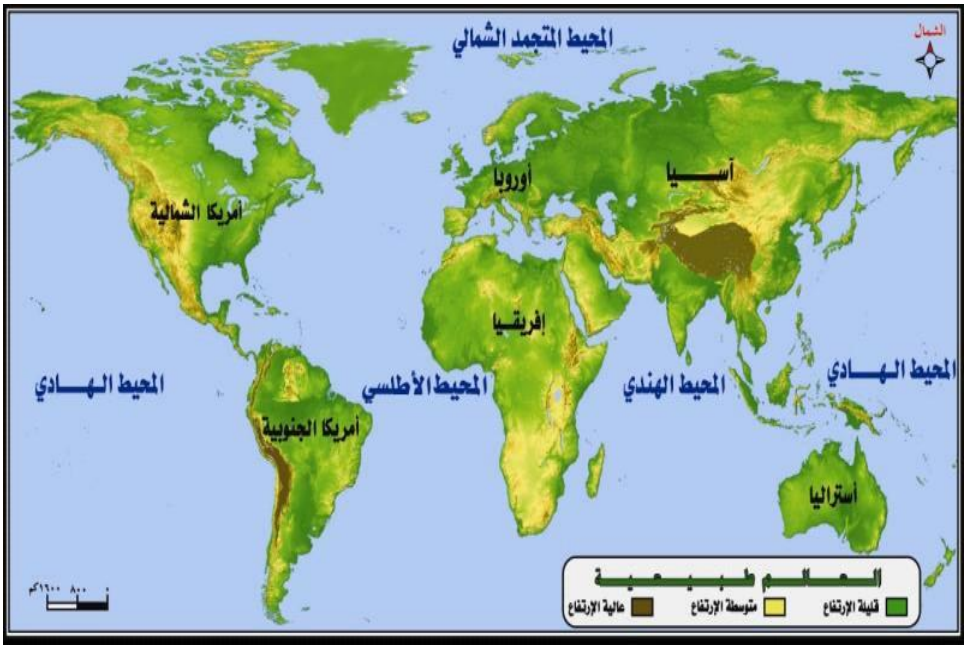

٢. الأقاليم البشرية:

هي الأقاليم التي تتخذ من التوزيعات البشرية التي تتصف بالمادية اساساً في تقسيمها مثل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعرقية والنفسية والسياسية [٢]، واستخدم دي لابلاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تقسيم فرنسا إلى عدة وحدات قائمة على اساس اقتصادي.

اذ لاحظ ان المدن الإقليمية في فرنسا لها اهمية اقتصادية كبيرة للإقليم الذي يحيط بها ، وان تقدم التنمية الاقتصادية في فرنسا يؤدي إلى زيادة قوة جاذبية المراكز الإقليمية الكبيرة ، كما وصف لابلاش هذه المدن بأنها "نويات مركزية" لتشكل نويات التركيز الاقتصادي في فرنسا ، وقد استطاع بالموازنة

(١) نقلا عن الانترنيت: **http://m.dreamscity.net**

(٢) اريلد هولت – ينسن ، مصدر سابق ، ص ص٧٠-٧١.

بين الأقاليم الطبيعية وبين هذه المراكز الإقليمية ان يضع مشروعاً يشمل سبعة عشر اقليماً في فرنسا [١] ، لاحظ الشكل (١١).

الشكل (١١) خرائط بشرية (العالم سياسية) [٢]

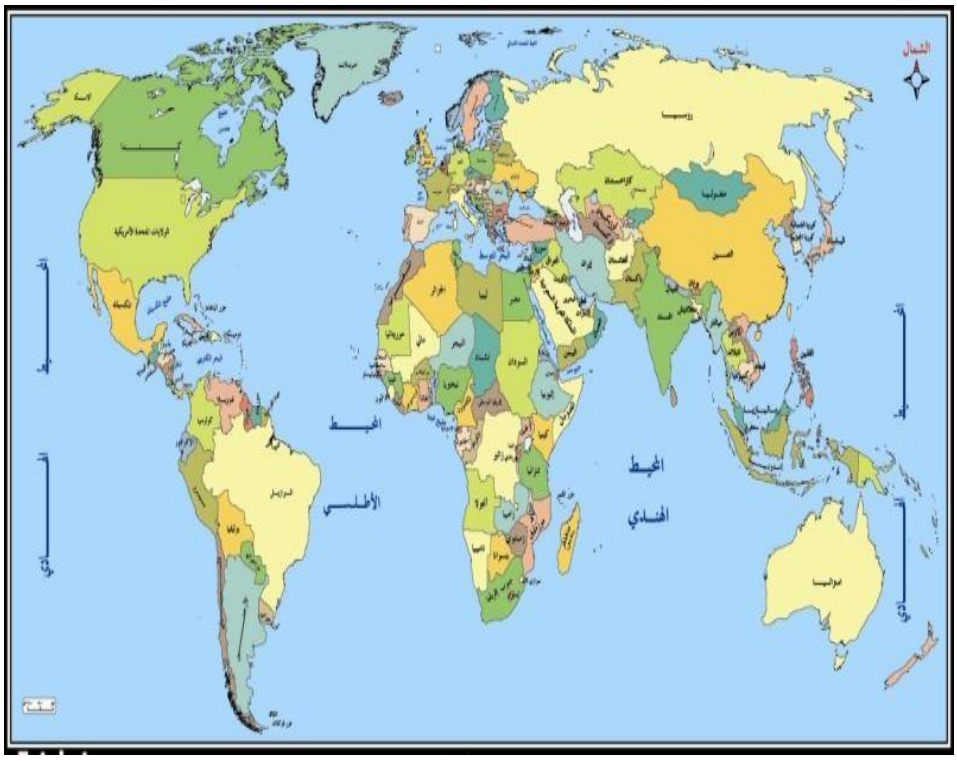

وقد حذت المانيا وبريطانيا حذو فرنسا في تقسيم دولتها إلى أقاليم قائمة على خصائص بشرية ، اذ قسمت المانيا منذ اتحادها عام ١٨٧٠ إلى وحدات اقليمية ، وبعد عام ١٩٣٥ قسمت إلى ثلاثة وعشرين اقليماً تخطيطياً قائم على اساس تجميع الوحدات السياسية بصورة تجعل منها وحدات اقتصادية ، وفي بريطانيا ظهرت فكرة تقسيم مدنها

(١) أ. و. جلبرت ، الجغرافيا الإقليمية ، في الجغرافية في القرن العشرين ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد السيد غلاب ومحمد مرسى ابو الليل ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص٦.

(٢) نقلا عن الانترنيت: http://www.dorar-aliraq.net.

إلى مقاطعات اقليمية بعد ان نشر فارست C.B. Fawcett عام ١٩١٩ كتابه المعنون بـ "مقاطعات انكلترا" الذي اوضح تقسيم المدن في بريطانيا إلى وحدات اقليمية(١).

مما عرض تتضح أصالة وابداع حضارة وادي الرافدين في الجغرافية الاقليمية من خلال وضعها الاسس الاولى لظهور مفهوم الاقليم والمتمثلة بوجود اختلافات طبيعية وبشرية فوق سطح الارض ، كما انها تركت تأثيرا كبيرا في نشوء وتطور مفهوم الاقليم في العصور القديمة والوسطى والحديثة ابتداء من الحضارة اليونانية التي سارت على نهج حضارة وادي الرافدين في تقسيم سطح الارض الى اقسام بالاعتماد على الاختلافات المناخية ، ومرورا بالحضارة العربية الاسلامية التي قسمت سطح الارض الى سبعة اقاليم كما فعل سكان بابل في تقسيمهم وقد جعلوا بابل في وسطها ، وانتهاء بالعصور الحديثة التي سارت على نهج سكان بابل من تقسيم سطح الارض الى أقاليم طبيعية وبشرية .

(١) تي ، دبليو فريمان ، مصدر سابق ، ص١٧٧.

Originality and Regional Geographic Creativity in the Civilization of Mesopotamia (Study in Geographical Thought)

Assist. Prof. Dr . Ra'ed Rakan Kasim Al-Juwari

Abstract

The region of Wadi Al-Rafidain is an ancient region that was named by the Greeks "Mesopotamia" (the country between the two rivers), and because of its old history, many of the geographical contributions that this civilization has left are unknown to the modern researchers. Among these contributions are their ideas in regional geography, which have contributed to the development of regional geography during the ancient, middle and modern times; and this is what the present study attempts to revealed by studying: originality and regional geographical creativity in the civilization of Mesopotamia.

The importance of the research is to realize the originality and creativity left by the inhabitants of the ancient civilization of Iraq in regional geography by highlighting their contribution to the development of the oldest ideas in this area, which were unprecedented by any of the civilizations that prevailed during antiquity.

The problem of research is to search for historical and archaeological evidence which confirms that the Mesopotamia civilization had headed other civilizations in laying the foundation for the emergence of regional geography.

The most important conclusion of the study is that the concept of regional geography and the division of the world into seven regions that prevailed in the Arab Islamic civilization during the Middle Ages and the division of the world into natural and human regions was recognized by the Mesopotamian civilization; and the scientific development that took place in regional geography during ancient, medieval and modern times was originated from the regional ideas left by the people of Mesopotamia civilization.